

التصوف المحمدي : لا تصوف إلا تصوف الرسول عليه السلام

(بقلم عبدالعزيز بنعبدالله)

لقد انطلق الفكر الصوفي الصحيح من أول حديث لقنه جبريل للمومنين بحضور الرسول عليه السلام حيث روى لنا عمر بن الخطاب (كما في صحيح البخاري) حديث ترتيب مكونات التقوى في الإسلام والإيمان والإحسان معرّفاً هذا الأخير بأن "تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فتحليل هذه المقومات الثلاثة هي تصحيح العقيدة وتقوية الإيمان وإنسانية الإحسان.

ونحن نستهدف من هذا التحليل إبراز الوجه الحقيقي للإسلام بالتنديد بالتصوف المنحرف وبالتشدد في الدين.

فالإحسان إذن درجة مثلى هي قوام التصوف الصحيح المتجلي في مراقبة الحق بحسن عبادته والانصياع لأمره مع رعاية حقوق الخلق وكرامتهم مهما تكن عقيدتهم وجنسهم ولونهم.

على أن هذا الرصيد تراث مشترك بين الديانات السماوية لقوله تعالى :

" شرع لكم من الدين ما أوصى به نوحا والذي أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه "

وقوله : " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما "

على أن لهذه الازدواجية في الدين بين الإيمان والإحسان أبعادا اجتماعية وخلقية . أما الإيمان فقد عرفه الرسول عليه السلام في أحاديث شتى استخلصناها من ستة عشر مصنفا في الحديث بين صحاح وسنن ومسانيد و من هذه الأحاديث قوله عليه السلام :

- لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

- لا يومن أحدكم حتى يكرم ضيفه

- لا يومن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه و أهله وولده والناس أجمعين.

- من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت.

- لا يومن أحدكم حتى يامن جاره بوائقه وكان عليه السلام متكئا فقعد وأقسم : " والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن " فقالوا من يا رسول الله؛ قال: " الذي لا يامن جاره بوائقه "

واحترام (جار الدار أو جار القطر) غير منوط بالمعتقد فقد كان للرسول عليه السلام جار يهودي كان يهدي إليه من طعامه ولذلك عرف عليه السلام المسلم بأنه " من سلم المسلمون من لسانه ويده " ويقصد هنا كل معتقدي الديانة الإبراهيمية وحتى المجوس أتباع زردشت الذي دعا أول الأمر إلى توحيد الله وتعزيزاً لهذا التلاؤم والتواؤم مع غير المسلمين أمضى عليه السلام مع ممثلي أهل الذمة من سكان الجزيرة العربية وثيقة هي ميثاق المدينة المنورة تضمن لهم تعايشاً آمناً في مجتمع حر يكفل حقوق الجميع.

وقد يبادرنا أول سؤال في المحتوى الآتي للتصوف إذ لم يكن في عهده عليه السلام لاوظيفة ولا ورد ذلك أن الصحابة كانوا مشبعين بروح فياضة عالية أفتبست تساميتها من السلوك الفعلي للرسول الذي قال : "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" فجاء القرن الرابع الهجري حيث علل الشيخ عبد الكريم الهوازني في الرسالة القشيرية اضطراب لجوء المومنين إلى مهماز يذكرهم بحكم الرسول القرآنية ودعوته بسبب انطماس أو هلهلة النور المحمدي آنذاك.

إلا أن التصوف بالرغم عن هذه المهاميز بدأ يتدهور بفقد بعض مؤشرات حيث وصفه بهذا التردي في القرون التالية محتسب الصوفية الشيخ زروق حيث حلل أوصاف الصوفي في كتابه "عدة المرید الصادق" وتلاه في القرن العاشر الهجري الإمام الشعرائي في طبقاته.

وكان أساس التصوف منذ القرن الخامس تجمع ثلثة من المومنين في رباطات شتى للعمل على نشر الفكر الإسلامي والدفاع عنه استجابة لقوله عليه السلام : "إن إمضاء ليلة في حراسة ثغر من ثغور المسلمين تعدل عبادة ألف سنة."

و أول رابطة في المغرب هي منتج المرابطين les marabouts ومنتدى ترويض أنفسهم على التلاوة والذكر وتهذيب الروح مع ممارسة الفروسية والسياحة والرماية استعداداً للانطلاق في أسطولهم البحري عبر المتوسط إلى مياه فلسطين لمحاربة الصليبيين حيث نوه أمير قشتالة ألفونسو السابع بأمجادهم في مذكراته.

ولكن هذه الرباطات استحالت إلى زوايا استقام بعضها وتخلخل الكثير منها فأصبحوا قابعين في أركان زواياهم ينتظرون ما يفتح به عليهم من "زيارات" و"فتوحات".

وقد أدرجنا هذه المفاهيم في مختلف تطوراتها في كتابين باللغة الفرنسية ليستفيد منهما من لم يكن يلم باللغة العربية من مسلمين و غير مسلمين وهذا الكتابان هما

1 (الإسلام في ينابيعه L'Islam dans ses sources

2 (الإسلام والخلق العالمي (أي الإنساني) L'Islam et la Morale Universelle

وهناك كتاب ثالث عزز الاثنين السابقين وهو المسمى:

الإسلام في مداركه و مبادئه L'Islam : Concepts et Préceptes

وقد طبع الأول منذ أربعين سنة خمس مرات إحداهما في المملكة السعودية ويجدد الآن طبع كليهما في باريز مع سعي بعض الهيئات و الأفراد إلى ترجمتهما إلى بعض اللغات.

وكان لهما أثر قوي في المجتمعات الغربية حيث نشرت مجلة "المسلمون" صورة رجل بلجيكي حاملا الكتاب الأول بين يديه وهو يقول : "بفضل هذا الكتاب دخلت أنا وزملائي من البلجيكيين إلى الإسلام"

على أنني حاولت إبراز مقومات التصوف السني في كتابين آخرين بالفرنسية هما

- أولا : التصوف الإفريقي المغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين (أي القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين)
Le Soufisme afro-maghrébin aux XIX ème et XX ème siècles

- وثانيا : التجانية نهج اجتماعي روحي La Tijanya : voie sociale et spirituelle

وقد تضمنت هذه المصنفات مزيدا من التنويه بقوام السنة النبوية أي التصوف المحمدي الحق الذي تجلى في مقولاته وسلوكه عليه السلام.

فقد حدثنا عن موسى عليه السلام الذي قام ضد قارون لبغيه وطغيانه . " إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم " (الآية). فطلب من الحق الإذن له بإلحاق خسف الأرض به ولما شاهد قارون مصيره صار يناشد موسى تعلقا بقرابته فلم يعره اهتمام فأوحى إليه الحق تعالى قائلا : «يا موسى إن قارون ناشدك مرارا فلم تستجب له ولو ناشدني مرة واحدة لأجبتة هل تدري يا موسى لماذا لأنني خالقه»

كما أتحننا المحدثون بقصة سهيل بن عمرو الذي كان يهجو الرسول في أشعاره فأسر بإحدى الغزوات وجيء به إلى الرسول للاقتصاص منه بكسر ثناياه فأجابهم عليه السلام في حنو و عفو قائلا : إني أخشيان أنا مثلت به أن يمثل الله بي " ويذكرنا هذا الحديث بعفوه عليه السلام على كفار قريش يوم فتح مكة وبعد وقائع الطائف حيث قال لهم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء إني أرجو أن يخرج الله من أصلابكم من يعبده"

وبالرغم عن تدهور المسار الصوفي عبر العصور فإن المشهد لم يخل من صوفية سنيين أصلاء أمثال الفيلسوف حجة الإسلام الغزالي وابن عبد السلام سلطان العلماء الذي كان ينكر على القوم فلما التقى بالحسن الشاذلي تلميذ المولى عبد السلام الذي كان له دور باسم المغرب في نشر الفكر الصوفي السنني بالمشرق مع أربعة آخرين هم أحمد بدوي الفاسي دفين طانطا و عبدالرحيم الفتائي السبتي دفين الصعيد المصري مع الصوفي الفاسي العلامة المفضل السقاط من رجالات القرن الثاني عشر وقد شهد لهؤلاء كلهم بالسبق في مجالات الحياتين الدنيا والأخرى وإلى أوائل القرن الهجري الماضي لمسننا نموذجا حيا للتصوف السلفي في شخص الإمام محمد عبده الذي حكى عنه كل من شيخ الأزهر مصطفى عبد الرازق في كتابه حول الأستاذ محمد عبده و كذلك الشيخ رشيد رضى في مجلة

« المنار » مؤكدين أن الشيخ عبده كان إذا استغرق في تلاوة القرآن والتمعن في أسرارهِ واستعراض سيرة الرسول وأقوال القوم يغيب عن حسه من فرط التأثر والاسترواح. ومن مظاهر هذه الروحانية لدى المومن الملتزم سلطان الحس الروحي على الحس المادي فقد ورد أن مصعب بن الزبير أصيب بالآكلة La Gangrène في ساقه فاضطر إلى استشارة طبيب ولكنه تردد في الانصياع لأمره بقطع الساق فقالت امرأته: «دعوه حتى يدخل في الصلاة وهناك اقطعوا ساقه فإنه لن يحس».

ويتحرك وجدان محمد عبده الصوفي عند سماع مناجاة ابن الفارض في قوله :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقول رابعة العدوية :

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاك

كما تهتز مشاعر محمد عبده الإنسان عند مساءلة الحراق المغربي نفسه الملتهبة قائلاً :

أتبحث عن ليلى وفيك تجلت وتحسبها غيراً وغيرك ليست

أو أمير الشعراء أحمد شوقي في مناداته على لسان عنتره :

ماذا وددت يا عييل يا حياة عنتره

فأجابت:

وددت أني صدف وأنت فيه جوهرة

في زاخر لم يدر بعد الغائصون خبره

**J'ai extrapolé cette idée géniale « amour tout court », en contexte
«amour divin'', axé sur un art alexandrin manipulé**

,Perle et Coquille, toutes deux évoluant

là où, enlisées, l'une à l'autre, au fond de l'Océan

,Le moi somatique s'agite refluent

Le subtil en notre Etre s'avère affluent

فلاستناد إلى العلاج الطبي من السنن المؤكدة غير أن الرسول جمع يوما بين العلاجين المادي والروحي عندما لدغته عقرب فطلب شيئا من الملح لتنقية اللدغة من الجراثيم ثم أعقب ذلك بالرقية بسورة الإخلاص. وهناك الطبيب العالمي الكسيس كاريل Alexis Carrel الحائز على جائزة نوبل في الطب والكيمياء في الأربعينيات يقول في كتابه La Prière (ومعناه الصلاة أو الدعاء) "إذا عجز الطب عن معالجة أي مرض أو داء فما علينا إلا التوجه إلى الله «
Là où la thérapie classique faillit , l'invocation d'Allah s'avère opérationnelle.

والإسلام أول من دعا إلى الحجر الصحي في طاعون عمواس بالشام حيث قال: "إذا كان الطاعون في بلد فلا تدخلوها و إذا كنتم فيها فلا تخرجوا منها " وذلك فرارا من العدوى الذي اعترف عليه السلام بوجودها في قوله « لا يورد ممرض على مصح » كما في صحيح مسلم.

ولمزيد من التنديد بالحركات المنحرفة الداعية إلى العنف نستعرض جملة من السلوكات التي نهجها الرسول وأصحابه دعما للتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية في مجتمع تحترم فيه الحريات.

فقد دعا القرآن الكريم إلى دعم المبادرات الحرة والعمل البناء حيث قال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ».

وقد تتعارض هذه الآية ظاهريا مع قوله تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " فيستخلص منها المتصوفة المنحرفون ما يعزز خمولاتهم وسلبياتهم غير أن المقصود الحقيقي بالعبادة في هذه الآية هو ما وسمه القرآن بطابع السنية أبرزها قوامات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المعاصر تتجلى في كد المومن على عياله وجهد الشغيلة العاملة في معملها و المحترف في مصنعه والباحث في مختبره وقد أكد الرسول عليه السلام ذلك في قوله : "من أكل أجره الأجير حبط عمله ستين عاما" ولو صلى وصام و هذه نهاية في العدالة الاجتماعية.

وقد أبرز القرآن الكريم وجوب عقلانية هذا العمل بقوله : " فإذا عزم فتوكل على الله " فالتقدير والتفكير والتصميم يسبق التوكل وقد قال عليه السلام " اعقلها وتوكل " وهو ما فصلته في كتابي عقلانية المقدرات بالفرنسية Rationnel du Sacré وما أكثر سلبيات المتصوفة التي تتنافى مع الروح الحركية التي تشكل مجالا لحيوية الإسلام. وقد يعتبر هؤلاء المتصوفة سكونهم الكسلي والتخاذلي مظهرا للتوكل لكن الرسول عليه السلام حلل حقيقة التوكل حتى في حركية الحيوانات الدائبة في انتقالاتها في الفضاء انتجاعا للعيش فقال: " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا "

وقد دعا عليه السلام إلى الاعتماد على الطاقات الشبابية للمساهمة في تأطير الأمة وذلك بتشبيب الأطر لتحمل المسئوليات وتكوين حملة الدعوة إلى الله وترشيد المواطنين وقد اختار من النساء عائشة الصديقية وهي إحدى أمهات المومنين توفي عنها الرسول

وعمرها 18 سنة فتزعمت الحركة النسوية وكشفت عن الوجه الصحيح للفكر الإسلامي بخصوص المرأة لأن الرسول حولها الحق في التحدث باسمه حيث قال : "خذو نصف دينكم عن هاته الحميراء" أي السمرء ومن ذلك مشاركتها في الغزوات والسرايا وخاصة وقعة الجمل ودعت النساء إلى المشاركة في الجهاد لا كمرضات بل كمجاهدات فبرزت من بينهن في غزوة أحد المدعوة نسيبة التي قتلت قاتل أخيها وانتزعت منه سيفه وقتلت به فئة من الغزاة المشركين وهي التي تزعمت ولاية المرأة فقامت بتزويج بنات أخيها عند غيابه وكانت تميل إلى تيسير الدين حيث أفتت بعدم غسل الشعر عند الجنابة والاكتفاء بثلاث حثيات من الماء.

أما الرجال فقد اختار منهم الرسول عبد الله بن عباس وكان عمره 14 سنة عند وفاته عليه السلام داعيا له بالفقه في الدين والعلم بتأويل القرآن وقد عرف بما سمي بترخيصات ابن عباس قبالة تشديدات عبد الله بن عمر الذي كان يدعو إلى تطويل اللحية بينما اعتمد ابن عباس على حديث مسلم القائل : " أرسلوا اللحي وحفوا الشارب " وعلق الإمام الأبي في شرح مسلم فقال: "ولو بإبقاء شيء قليل من الشعر" للتمييز بين الجنسين.

وكان أعلم الصحابة بعد سيدنا علي حيث استنبط من القرآن معارف كونية منها وجود ما يسمى بالمنظومة الشمسية *Système solaire* اقتباسا من قوله تعالى : " إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب" وقوله: " كل في فلك يسبحون".

على أن الإسلام في جميع شعائره دين حركي لأن (السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) كما يقول عمر بن الخطاب و قد آخى رسول الله بين الأنصار والمهاجرين ودعا الأولين إلى اقتسام ثرواتهم مع الآخرين لفقدانهم أموالهم بعد هجرتهم من مكة ولكن بعضهم أبوا ذلك لسمو همهم مثل الصحابي الجليل عبد

الرحمان بن عوف الذي قال للرسول " دنني على السوق" لكسب قوته فتوفي عن تركة بلغت ثلاثة ملايين درهم (بالراء)

ويؤدي بنا هذا الحديث إلى أن الرسول كان يعتبر المال عصب الحياة ويدعوا إلى التمول ولكن من حلال حتى لا يكون المومن عالة على غيره فلذلك كان العشرة المبشرون بالجنة هم أغنى الصحابة منهم أمين الأمة طلحة الخير الذي كان يملك خمسة وثلاثين مليار درهم والزبير بن العوام حواريها الذي بلغت تركته ثلاثين مليار حسب إحصاء وارد في أحاديث صحيحة فالزهد لا يكون مرجوحا إلا إذا كان في قلب المومن لا في يده بحيث لا يقلق ولا يضجر إذا ضاع ماله ثقة بما عند الله.

ولم يال الرسول جهدا في تحليل مدى مسؤولية المومن في الحياة حيث قال: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حيث يسأل عن أربع : " عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه" و من ذلك مبدأ " من أين لك هذا"

ومن مظاهر مسؤولية المومن عن صحته ممارسته للرياضة البدنية حيث أمر عليه السلام بتعاطي الفروسية والسباحة والرماية والمسايفة وحتى المصارعة حيث صارع عليه السلام شخصيا أحد أبطال عصره واسمه ركانة فصرعه في الجولة الاولى ومن ذلك سباق الخيل والجمال والمسابقات الفردية حيث سبق الرسول زوجته عائشة فسبقته عندما كانت هزيمة تكتفي بالبلغة من الطعام ثم سمنت فانهزمت فأمرها عليه السلام بالعودة إلى الحمية وقد دعا إلى العلم و التعلم إلى جانب التربية الرياضية فكان أحد كبار تلامذته علي بن طالب الذي بلغ من العمر زهاء الأربعين سنة عند وفاة الرسول فقال فيه : "أنا مدينة العلم وعلي بابها " وقد تجلى ذلك في معارفه الكونية حيث نقل أوكنيل المحرر العلمي لمجلته نيوزكرونيل الأمريكية عام 1960 مقولة علي وهي : " إذا فتحت ذرة وجدت شمسا تديرها الأفلاك " وأضاف إلى هذه المقولة ما ذكره جلال الدين الرومي في كتابه (المثنوي)المحتوي على خمسين ألف بيت وهو يعتبر في الولايات المتحدة أعظم صوفي عرفته الإنسانية وهو شيعي من علماء القرن الثالث عشر الميلادي قد قال في كتابه : "حذار من التلاعب بالذرة فإنك إذا فعلت ذلك تكاد تحيل العالم إلى رماد" و هو ما وقع فعلا في هيروشيما عام 1945.

و يتجلى من كل تلك السلوكات مدى رعاية الرسول لكرامة ساكنة المجتمع الإسلامي إذ يقول عليه السلام " حرمة المومن عند الله أعظم من حرمة الكعبة " لذلك أحاط الإسلام الحد في الزنا والسرقه بشروط قد يتعذر توفرها فحد الزنا مشروط بشهادة أربعة عدول يشاهدون الممارسة الجنسية كالمورد في المكحلة و يكاد ذلك أن يكون مستحيلا وقد شاهد أمير المومنين عمر بن الخطاب بعينه ممارسة من هذا القبيل فخاطب بذلك القاضي عليا بن أبي طالب فقال له: "إذا لم تأت يا أمير المومنين بثلاثة شهود آخرين فإن الحد سيقام عليك " فالحد إذن ليس سوى سيف وصلت فوق رؤوس المنحرفين.

وحتى في السرقة لا يتم الحد إلا في حالات خاصة لأن عشرة أنواع من السرقة لا يجب فيها الحد اللهم إذا كانت سرقة موصوفة اقترنت بقتل.

وقد ورد على الرسول عليه السلام رجل اعترف بأنه اقترف جنائية دون الزنا فذكره بالآية الكريمة " إن الحسنات يذهبن السيئات " وأمره بقوله : " أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " فوازن عليه السلام هذا الانحراف بسوء الخلق قائلا أيضا : " أقربكم إلي مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطأون أكنافا الذين يالفون ويولفون " غير أن هذا الخلق لا ينبغي أن ينحدر إلى النفاق والمداهنة وتندب في هذا المجال المداراة :

فدارهم ما دمت في دارهم.

و أرضهم ما دمت في أرضهم.

وهكذا نلاحظ أن مجموع هذه السلوكيات السنوية تندرج في قوله عليه السلام " الدين المعاملة " وهي معاملة مزدوجة فيها رعاية الحق الإلهي وحقوق بني الإنسان.

وقد دعا عليه السلام إلى اللين وترك العنف فقال:

- "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وجادلهم بالتي هي أحسن."

- "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم."

ووضع تعالى في كتابه العزيز كيانا خلقيا من ثلاثة محاور وهي قوله:

- "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین"

ولم يشر القرآن في هذا الثالث إلى النهي عن المنكر لأن في هذا النهي تفصيلا حلله الرسول عليه السلام في قوله:

"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

فالنهي عن المنكر باليد يكون للسلطة ويكون باللسان لرجال الفكر والقلم ويكون بالقلب لمن ليس له لا فكر ولا قلم.

وفي هذا الظرف قال عليه السلام:

"إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك"

وقد دعا عليه السلام إلى احترام الحريات : حرية التفكير وحرية التعبير وحرية العقيدة.

والترزم عليه السلام في نشر الدين باللين وبسياسة الحوار المسالم البناء ولم يستعمل العنف فلم ينتشر الإسلام بحد السيف ولكن الرسول عليه السلام اضطر إلى استعمال السيف للدفاع عن النفس عندما قتل بعض رسله على يد ملوك و رؤساء ذلك العصر أمثال كسرى وقيصر والمقوقس.

وإلا فقد قال تعالى : " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون...إلى آخر الآية . " لا إكراه في الدين فقد تبين الرشد من الغي " فلا داعي إلى جهاد إذا تم إبلاغ العدو فأعرض الجاهلون عنها ونهى تعالى رسوله عن ذلك فقال: "العك باخع نفسك أن يكونوا مومنين " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مومنين".

ومن مظاهر ما تلقاه الصحابة في هذا المجال عن الرسول عليه السلام مقولات عمر بن الخطاب وقد خوله الرسول التحدث باسمه حيث قال : " اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر".

فقد دخل ابن الخطاب وهو أمير المؤمنين مسجدا فوجد بومة عمياء ياتيها صقر بقوتها وكان هنالك رجل بادر أمير المؤمنين قائلا : " انظر كيف أن المتوكل على الله يأتيه رزقه دون عمل " فأجابه عمر : " أنت فضلت أن تتشبه ببومية عمياء فكيف لاتكون صقرا؟ "

ودخل عمر مسجدا مرة أخرى فوجد رجلا قد اعتكف على التعبد فسأله عمر : " من يعيك " قال : " أخي " فأجابه " أخوك أعبد منك "

وكان عمر وهو أمير المؤمنين يحرس المدينة بالليل فسمع في إحدى الليالي أنين امرأة عجوز تشكو الجوع والخصاصة. فخف إلى منزله وحمل لها ما استطاع من زاد بل طبخ لها ما تقتات به تلك الليلة و تسور عمر ليلة أخرى جدار منزل فوجد مدمنين منكبين على شرب الخمر فتحاملوا عليه ملاحظين أنه لا حق له في التكشف عليهم وقد سترهم الله لقوله عليه السلام : " من ابتلي بمثل هاته القادورات فليستتر " فخرج عمر دون أن ينبس بكلمة لشعوره بأن الحق في جانبهم .

أما شعوره بتحمل المسئولية في نيابته عن الشعب و على كل من هب ودب في البلاد فقد قال :

" لو أصيبت شاة في العراق لشعرت بأنني أنا المسؤول " .

وقرر يوما تعيين وال على إحدى المقاطعات فاستدعاه لتمكينه من وثيقة تعيينه وكان عمر قد احتضن أحد أبنائه يقبله ويلطفه فقال له الوالي المرشح : " عجب يا أمير المؤمنين إن لي أولادا ما قبلتهم في حياتي " فمزق عمر وثيقة التعيين قائلا : " أخرج فإن من لا يرأف بأولاده لا يرأف بالأمة "

وعندما دخل عمر إلى بيت المقدس امتنع أن يصلي في أحد المعابد حتى لا يكون ذلك ذريعة لاستملاكه إسلاميا وإن كان يعلم ما قال الرسول : " جعلت لي الأرض مسجدا وظهورا فأیما رجل أدركته الصلاة فليصل " وكم من مرة صليت في كنيسة مطار أورلي باريز قبل أن يبني فيها المسجد.

ونختم هذه العجالة بكلمة خالدة فتحت أمام المومن مناهج الحياة على مصاريعها لاسيما في عصرنا هذا الذي تراكمت فيه المغريات وتشابكت فيه الموبقات وهي قوله رضي الله عنه : " حيثما كانت المصلحة العامة فهناك الإسلام " ولكن حذار من اندساس المصالح الخاصة في كيان الامة فإنه ينخرها.

